الاشتراك الصرفيّ لصيغة (فَعَل) الاسميّة في التعبير القرآني (غَدَق) أنموذجا

م. ناهدة غازي علوان

جامعة بغداد/ كلية التربية للعلوم الصرفة (ابن الهيثم)

مستخلص

انصبّ اهتمام القدماء على الألفاظ ومعانيها وكأنّهم يعلمون أن جيلا من الخالفين سيرميهم بالقُصُور والتقاعس عن الاهتمام بالألفاظ دون المعاني ، إذ عقد ابن جني بابا في الردّ على من ادّعى على العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها المعاني ذكر فيه أن ما يدلّك على تمكّن المعنى في أنفسهم وتقدّمه للفظِ عندهم ، تقديمُهم لحرفِ المعنى في أوّل الكلمة ، وذلك لقوّة العناية به فقدّموا دليله ليكون ذلك أمارة لتمكّنه عندهم ،وعلى ذلك تقدّمت حروف المضارعة في أوّل الفعل إذ كنَّ دلائل على الفاعلين: من هم؟ وما هم؟ وكم عِدّتهم؟ نحو: أَفْعَلُ ونَفْعَلُ وتَفْعَلُ ويَفْعَلُ.

يعدّ البحث محاولة جادّة في نقض ظاهرة الاشتراك الصرفي أو الأوجه التأويلية المتعددة للفظة الواحدة في التعبير القرآني، وما يتبع ذلك التأويل المتعدد من قول بالتحول الصرفي الذي يراد منه أن تنوب صيغة صرفية عن صيغة أخرى تؤدّي معناها وتظفر بموقعها في السياق، واجتهد البحث في نقض التأويل الاحتمالي ليقرّ التأويل القطعيّ وذلك بالاعتماد على الإعجاز اللغوي الذي يتمثل بالحفاظ على البناء اللفظي كما هو في المصحف دون القول بأنه محول من بناء آخر وبالحفاظ على وحدة التركيب الذي يشتمل على اللفظة دون القول: إنه تركيب حذف منه لفظ أو زيد فيه آخر. ومن ثم لا مسوغ لهذا الكم من الوجوه التأويلية المتعددة في توجيه دلالة ألفاظ القرآن الكريم الذي هو كتاب واحد أنزله ربّ واحد ونزل به ملك واحد على قلب نبيّ واحد وألفاظه واحدة موحّدة يؤدي كلّ منها معنى واحدا مُبينا لا متعدِّدا مُريبا، فمن أين ينسل إليها التوجيه المحتمل والجائز ؟. وقد اختار البحث لتطبيق فكرته الرئيسة لفظة واحدة وردت على البناء الاسمي (فعل) هي لفظة (غدق) الواردة في سورة الجن بعد أن تعدّدت أقوال اللغويين والمفسرين في تلمّس دلالتها سواء على مستوى اللفظ المفرد أو البناء العام.

الكلمات المفتاحية: الاشتراك، غدق، الطريقة.

Abstract

The attention of the ancients was focused on the words and their meanings as if they knew that a generation of traitors would throw them away from the minors and fail to pay attention to words without meanings. Ibn Jany replied onto who claimed of Arab by introducing the letter of meaning at the beginning of the word, and in order to take care of him, they provided his evidence to be a sign of their ability, and therefore the letters of the match were advanced in the first verb, as they were signs of the perpetrators: who are they? And what are they? And how many of them? Towards: Afaal and Nafaal and Tafaal and Yafaal.

The research is a serious attempt to reverse the phenomenon of pure subscription or the multiple interpretations of the same word in the Qur'anic expression, and the following multiple interpretations of the statement of pure transformation, which is intended to act as a pure formula for another formula that leads to its meaning and achieveits position in the context, and strives to research in the veto the probability interpretation to approve the definitive interpretation is based on the linguistic miracle of maintaining the verbal construction as it is in the Qur'an without saying that it is converted from another structure and by maintaining the unit of composition that includes the word without saying: it is a composition from which one has been deleted or another is added. Therefore, there is no justification for this number of many interpretational aspects in directing the meaning of the words of the Holy Qur'an, which is one book that has been revealed by one God and in which one king descends on the heart of one prophet and one unified word, each of which has one clear meaning rather than a rebutt, where does the possible and permissible guidance slip from it? The research to apply his main idea chose one word that was mentioned in the nominal construction (Faal) which is the word "ghadaq" contained in the Surat Al-Jinn after the words of linguists and interpreters were multiplied in the significance of both the singular word and the general structure.

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبيّنا محمّد وآله الطيبين الطاهرين وبعد. فقد ذكر التعبير القرآني في سياق سورة الجنّ حكاية عنهم هي كونهم طرائق قدَدا وفِرقا شتّى على مذاهب مختلفة وأهواء متفرّقة من مؤمن وكافر وصالح ودون الصالح ومسلم وقاسط، ثم ذكر التعبير القرآني بعد ذلك حُكما جديدا في الآية {وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا} [الجن:١٦]، وفي دلالة هذه الآية خلاف كبير بين أهل التأويل والمفسّرين يمكن بيانه بما يأتي:

ـــ من المخاطب بهذه الآية الجنّ أم الإنس؟

ـــ هل الواو عطف على ما سبق أم هي استئناف حكم جديد؟

ـــ علام يعود ضمير الجمع في (استقاموا)، على الجن أم على الإنس أم على كليهما؟

ـــ ما المراد بالطريقة هل هي طريقة الكفر أم طريقة الإسلام ، وإن كان المراد بها طريقة الإسلام فأي مدلول إسلامي يمكن أن تحمل عليه اللفظة؟ وكيف يؤول مجمل التعبير القرآني مع كل وجه من الأوجه الكثيرة التي ذكرت لتأويل معنى الطريقة .

ـــ إسقاء الماء بمعناه الحقيقي أم هو كناية عن الرزق والسعة فيه؟ .

ـــ الماء المسقى في الدنيا أم في الآخرة ؟

وبعد كل هذا تفاوتت أقوالهم كثيرا في بيان معنى الغدق هل هو الكثير أم الغزير أم النافع أم الطاهر أم الجاري؟. وممّ اشتق وعلى أي معنى صيغيّ يُحمل. وتحديد الدلالة الدقيقة للفظة (غدق) هو السبيل الأمثل للإجابة عن تلك الأسئلة جميعا. ولذا طول البحث في تلمس المعنى الدقيق للفظة معتمدا على جملة من القرائن اللفظية والمعنوية والسياقية منها الاحتكام إلى المعنى العام لأمثلة الصيغة الصرفية (فَعَل) والاستدلال بنظائر الجذر (غدق) الصوتية في باب الاشتقاق الأكبر (الإبدال) وتدبر سياق الآية والنظر في مجمل التعبير القرآني الذي يصف صفات الماء .

معاني صيغة (فَعَلٌ) وأثرها في بيان دلالة (غدقا).

كثُرَتْ أمثلة البناء (فَعَل) في القرآن الكريم كثرةً بالغة مقارنة بأمثلة سائر الأبنية المجرّدة إذ فاقت مئتي مثال أكثرها مردّد اشتقاقيا، وقسم منها ورد مرة واحدة جاوزت أمثلته العشرين

مثالا[١]. وقد تلمّس ذوو الصنعة لأمثلة هذا البناء عدة دلالات جرى بها البناء (فَعَل) في باب المشترك الصرفيّ، وقد أحصيت منها سبع دلالات هي :

الأولى: فَعَل اسم إفرادي، وله من الفريد لفظان أولهما: (السَّنا) في قوله تعالى: ﴿ **يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ** ﴾ [النور:٤٣] و" السّنا الضوء الساطع"[٢]. والآخر: (الشفا) في قوله تعالى: ﴿ **وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا** ﴾[آل عمران:١٠٣]. ومعنى (عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ) "على طرف النار، من مات منكم وقع في النار. فبعث الله محمدا صلى الله عليه وآله وسلم، فاستنقذكم به من تلك الحفرة"[٣]. وشفا الحفرة: حرفها." فإن قلت: كيف جُعلوا على حرف حفرة من النار؟ قلت: لو ماتوا على ما كانوا عليه وقعوا في النار، فمثلت حياتهم التي يتوقع بعدها الوقوع في النار بالقعود على حرفها مشفين على الوقوع فيها"[٤]. أما المردَّد اشتقاقيا وهو اسم إفرادي على فَعَل فأمثلته كثيرة منها: (القَمَر والطَّبَق والوَلَد والجَمَل والبَلَد والجَسَد والبَدَن والعَصا والذَّكَر وسَقَر ولَظى) وغير هذا.

الثانية : فعل اسم جنس، وله خمسة أمثلة من الفريد اللفظي هي :

١- البَصَلُ والعَدس في قوله تعالى: ﴿ **فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا** ﴾[البقرة:٦١]. والبصل معروف ، واحدَتُهُ بهاءٍ[٥] والعدس الحبّ المعروف واحده العدسة[٦] .

٢- الزَّبَد في قوله تعالى: ﴿ **أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا** ﴾[الرعد: ١٧] وأصله من زَبَد الجمل الهائج وهو لُغامُه الأَبيض الذي تتلطّخ به مشافره إذا هاج وللبحر زَبَد إذا هاج موجُه، وزَبَدُ الماءِ والجِرَّةِ واللُّعاب: طُفاوتُه وقَذاه والجمع أَزْباد، والزَّبْدة الطائفة منه[٧].

٣- الوَدْقُ في قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ** ﴾ [النور:٤٣] واللفظ في [الروم ٤٨] ، والودق هو المطر كله شديدهُ وهيّنُه وواحدته ودقة[٨] .

٤- النَّوى في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ** ﴾ [الأنعام:٩٥] و"الحبّ والنّوى عامّان أي كلّ حبّة وكلّ نواة وبه قال قتادة والضحاك والسدي"[٩].

وأمّا من المردّد اشتقاقيا على (فَعَل) من أسماء الأجناس فأمثلته كثيرة منها البَقر والوَرق والشَّجر والثَّمر والغَنم والحَجر والعَلق وغيرها.

الثالثة: فعَل اسم جمع لا واحد له. وله مثالان من الفريد اللفظي أولهما: الثرى في قوله تعالى: ﴿ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ﴾ [طه:٦] وهو " كل شيء مُبْتلّ، قاله قتادة"(١٠). أو هو "التراب في بطن الأرض، قاله الضحاك"(١١). والآخر: العَسَل في قوله تعالى: ﴿ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗى ﴾[محمد:١٥] وهو لعاب النحل(١٢).

الرابعة: فَعَل جمع تكسير، ولم يرد له مثال صريح مُجمَع عليه في القرآن الكريم سواء من الفريد أم المردّد، وما ذكره فريق من أمثلته يدخل في باب الاحتمال الصرفي أو الخلاف التصريفي فلفظة (الحَرس) الفريدة لفظيا في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّا لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدۡنَٰهَا مُلِئَتۡ حَرَسٗا شَدِيدٗا وَشُهُبٗا ﴾ [الجن : ٨] ولفظة الرَّصد المردّدة اشتقاقيا في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقۡعُدُ مِنۡهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمۡعِۖ فَمَن يَسۡتَمِعِ ٱلۡأٓنَ يَجِدۡ لَهُۥ شِهَابٗا رَّصَدًا ﴾ [الجن : ٩] جوزوا فيهما ثلاثة أوجه: أولها: إنّهما اسمان مفردان دالان على الجمع كالخدم بمعنى الخدّام، فالحرس اسم مفرد في معنى الحرّاس، والرصد اسم مفرد بمعنى الراصدين(١٣). والثاني: إنهما اسما جمع للحارس والراصد وليسا جمعي تكسير. و"الرصد مثل الحرس: اسم جمع للراصد، على معنى: ذوى شهاب راصدين بالرجم، وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب، ويمنعونهم من الاستماع"(١٤). والثالث: أن يكون كلّ منهما صفة مشبهة بمعنى الفاعل، فالرصد" يجوز أن يكون صفة للشهاب. بمعنى الراصد ... يعني يجد شهابا راصدا له ولأجله"(١٥). فيكون التقدير في (مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا): ملئت جنودا حارسين أشدّاء.

وفي تفسيرهم لفظة (تبعا) في قوله تعالى: ﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعٗا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ ﴾[إبراهيم : ٢١] إذ جوزوا وجهين فقال: "{تَبَعًا}: تابعين، جُمع تابع على تبع، كقولهم: خادم وخدم وغائب وغيب أو ذوي تبع"(١٦). وذكر اللغويون أن التَّبَع يكون واحدا وجماعة لأنّه في الأصل مصدر(١٧). فأما كونه واحدا فلأنه في الأصل مصدر تبِع تبعا كفرح فرحا فيقدّر محذوف في سياقه يدل على الجمع يكون هو الوصف ويكون المصدر (تبع) مضافا إليه في الأصل ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وأخذ حكمه في وصف الجماعة (كنّا). وأما كونه جمعا فمفرده على فاعل ووُصف ضمير الجمع به بلا تقدير.

ويبدو أنّ دلالة (فَعَل) على الجمع أو اسم الجمع طارئة لا أصلية لان (فَعَل) عندما يوصف به الجمع تلحظ فيه الجمعية فراموا المطابقة بين الوصف والموصوف مع إنّه في الأصل مصدر يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث. فالرَّصَد هم القوم يرصدون، وهو في الأصل مصدر كالكرم والفرح ولكنه لما صح الوصف به دل على الجمع(١٨).

الخامسة: فَـعَـل بمعنى مفعول. وأمثلته من الفريد لفظان أولهما: الصمد في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ [الإخلاص:٢] ، و"{الصمد} فَعَل بمعنى مفعول، من صمد إليه إذا قصده، وهو السيد المصمود إليه في الحوائج"(١٩). والآخر: الحطب في قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ [الجن:١٥] وهو "ما يعدّ للإيقاد "(٢٠).

وأما من المردّد اشتقاقيا فمنه السكن في قوله تعالى: ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [الأنعام:٩٦]." والسَّكَن فَعَل بمعنى مفعول أي مسكون إليه وهو من تستأنس به وتطمئنّ إليه ... ومعنى أن الليل سكن لأن الإنسان يتعب نهاره ويسكن في الليل ولذلك قال تعالى: {لتسكنوا فيه} "(٢١)

والفلق في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ [الفلق: ١] و"الفلق والفرق: الصبح، لأنّ الليل يفلق عنه ويفرق: فعل بمعنى مفعول. يقال في المثل: هو أبين من فلق الصبح، ومن فرق الصبح "(٢٢). والقبس في قوله تعالى: ﴿ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ [النمل:٧] "والقبس: النار المقبوسة، وأضاف الشهاب إلى القبس لأنه يكون قبسا وغير قبس"(٢٣) .

وقد أقرّ علماء العربية دلالة (فَعَل) على (مفعول) ، وذكروا من أمثلتها: النَّفَض أي: المنفوض. و(السَّلَب) بمعنى السلاح المسلوب من القتيل في الحرب. و(الجَلَب) بمعنى المال المجلوب من بلد إلى آخر في التجارة(٢٤). وجمع الدكتور إبراهيم السامرائي طائفة من هذه الأمثلة لمّا أورد قول الإمام عليّ (عليه السلام) يذكر النبيّ (صلى الله عليه وآله): (حَتَّى أَوْرَى قَبَسًا لِقَابِسٍ، وَأَنَارَ عَلَمًا لِحَابِسٍ)(٢٥). فالقَبَس " بفتحتين نظير طائفة كبيرة من الأسماء في العربيّة على (فَـعَـل) بمعنى المفعول مثل :الحَلَب والجَلَب والقَنَص والنَّفَض والرَّصَد وغيرها، إذ هي بمعنى المحلوب والمجلوب والمقنوص والمنفوض والمرصود "(٢٦). ودلالة (فَعَل) على المفعول

مفهومة من أنّه في الأصل مصدر ثمّ غلبت عليه الاسمية فقُيِّد بالدلالة على أثر الفعل، فدلالته على المفعول عارضة، لأنَّهم وصفوا بأمثلته كثيرا فصارت كأنَّها الموصوف.

ولمّا احتملت أمثلة (فَعَل) الدلالة على المصادر وأسماء المصادر والجموع وأسمائها والمفعولين والفاعلين بحسب السياق اضطرب المفسرون في تفسير بعض أمثلتها نحو (الوَلَد) في ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ [مريم : ٧٧] و ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ [الكهف:٣٩] . فجوّزوا أنْ يكون مصدرا أو بمعنى المولود أو أن يكون اسم جمع يستوي فيه الواحد والجمع والذكر والأنثى لأنّه مصدر في الأصل، فجمعوا –على تفاوت بينهم– له هذه الدلالات الثلاث[٢٧].

السادسة: فَعَل صفة بمعنى فاعل. وله مثال واحد على هذا البناء صرّح فريق من المفسرين بدلالته على الفاعلية وهو (هربا) في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴾ [الجن:١٢] فقد ذكر الزمخشري أنّ " {فِي الأرض} و{هَرَبا} حالان، أي: لن نعجزه كائنين في الأرض أينما كنّا فيها، ولن نعجزه هاربين منها إلى السماء"[٢٨]. وهذه الدلالة أقرّها اللغويُّون في كلام العرب لأمثلة فَعَل فتكون صفاتٍ مشبهةً تُصاغ من الثلاثي (فعُل)، وهذه الصفات بمعنى الفاعل القائم بفعله أو المتّصف به فالحَسَن متصف بالحسن والبَطَل قائم بالبطولة[٢٩]. ومن أمثلتها الحَكَم معناه الحاكم[٣٠] في ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾ [النساء : ٣٥] . ويبدو أن (فَعَلا) إن دلّ على من قام بالفعل فهو بمعنى فاعل على وفق ما سبق وإن اتّصف بالفعل فهو صفة مشبّهة باسم الفاعل تدل على الثبوت . فـ(الأحَد) في ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص:١] صفة على (فَعَل) من الوحدة، وقد فرقوا بين الأحد والواحد[٣١] بان (أحد) وصف مأخوذ من الوحدة فهو كالواحد، لكن (أحد) يطلق على ما لا يقبل الكثرة ولا يقبل العدّ بخلاف الواحد فإنّ له ثانيا، والأَحَد يستوعب جنسه بخلاف الواحد ألا ترى أنّك لو قلت: فلان لا يقاومه واحد جاز أن يقاومه اثنان، ولو قلت: لا يقاومه أحد لم يجز أن يقاومه اثنان ولا أكثر منهم فهو أبلغ.

السابعة: فَعَل مصدرًا. ويطّرد في (فعُل) اللازم الذي تدلّ أفعاله على الطبائع والسجايا[٣٢]، فكانت أمثلة (فَعَل) في القرآن الكريم من المصادر دالة على ما يعتري الإنسان من عوارض كالفَرَح والمرح والفزع والمَرَض والحرض والعنت والغضب والظمأ والنصب أو

الأدواء اللازمة كالعمى والطمع. وقد وردت ثلاثة أمثلة من الفريد اللفظي على هذا البناء دالة على المصدرية هي:

١- الرفث: وهو مصدر رفث إذا فعل فِعلَ الجماع فـ"الرفث كلام متضمن لما يستقبح ذكره من ذكر الجماع ودواعيه وجعل كناية عن الجماع في قوله تعالى ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ﴾[البقرة:١٨٧] تنبيها على جواز دعائهن إلى ذلك ومكالمتهن فيه، وعدى بإلى لتضمنه معنى الإفضاء"(٣٣). ومما يعضد كونه مصدرا عطف الفسوق والجدال عليه في قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾[البقرة : ١٩٧] وهما مصدران اتّفاقا.

٢- الكبد بمعنى المشقّة ، قال تعالى ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴾ [البلد:٤] وفي هذا تنبيه على "إن الإنسان خلقه الله تعالى على حالة لا ينفك من المشاقّ ما لم يقتحم العقبة ويستقر به القرار"(٣٤) ويبدو أنه مشتق من (الكَبِد) العضو المعروف، والكبد والكُباد توجعه، يقال: كبدت الرجل إذا أصبت كبده، واستعير لمعنى المشقة(٣٥).

٣- التفث في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾ [الحج : ٢٩] فعلى الرغم من تعدد أقوالهم في تأويله أطبقوا على تفسيره تفسيرا يلائم دلالته على المصدرية لقرنه بعدة ألفاظ هن مصادر فقد نقل الطبري عن ابن عباس قوله: التَّفَثُ الحَلْق والتَّقْصير والأَخْذُ من اللحية والشارب والإبط والذبحُ والرَّمْيُ(٣٦). وقال الفراء التَّفَثُ نَحْرُ البُدْنِ وغيرها من البقر والغنم وحَلْقُ الرأْس وتقليم الأَظفار وأَشباهه(٣٧). ونقل الأزهري قول "ابن شميل: التّفَثُ النُّسُكُ من مناسك الحج، رجل تَفِثٌ أي مغبرٌ شعث لم يَدَّهِنْ ولم يستحدّ"(٣٨). وعلق بهذا قوله: "قلت: لم يفسر أحد من اللغويين التَّفَثَ كما فسَّره ابن شميل: جعل التفَثَ التّشَعُّثَ وجعل قضاءه إذهاب الشعث بالحلق والتقليم وما أشبهه"(٣٩). وواضح من هذا أن الأزهري استحسن قرن التفث بنظيره التشعث وكلاهما مصدر. ويبدو أنّ بناء (فَعل) إنَّما صلح لهذه العوارض الإنسانيّة لتوالي الحركات فيه، فهذا التعاقب الحركي يوحي بالهيجان والاضطراب لدى الإنسان.

وثمة مصادر على (فَعَل) غلبت عليها الاسمية فُفسِّرت بمعنى المفعول أو الفاعل إذا كان الاسم الغالب مفردا، وإذا كان الاسم جمعا فُسّرت بأنّها جموع أو أسماء جموع، وكلّ الدلالات

الفرعية داخلة في المصادر وأسماء المصادر. أي إن احد استعمالات المصدر ربما يكون مهيمنا على غيره وشائعا في الاستعمال فيستحوذ على لفظ المصدر ليكون اسما له، من ذلك (النصب) فهو في الأصل مصدر نصبت الشيء إذا أقمته، يقال: نصب الشيء وضعه وضعا "ناتئا" كنصب الرمح والبناء والحجر، ثم قيل للوثن: (نَصَب) لأنّهم رفعوه للعبادة[٤٠]، وإنّما خُصِّص المصدر (الحدث المطلق) في أحد استعمالاته بالدلالة على الاسمية من باب التغليب، أما النَّصب بمعنى التعب، كما في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴾ [الكهف:٦٢] فمجاز من هذا المعنى المحسوس ذلك إن التّعب يلجِئ صاحبه إلى الإقامة في مكانه فيظهر للعيان كأنه منتصب في حيزه لا حراك له.

ونحوه (الملأ) ، فهو في الأصل الامتلا. وأبين ما في هذا المعنى هو أن تمتلئ العين من رؤية الأشراف من أهل الحل والعقد فسمُّوا بلفظ المصدر من باب التغليب ، فقيل الملأ الأشراف الذين يملؤون العين، وكذا الأمر في معظم أسماء المصادر التي ظفرت بلفظ المصدر لأنها الاستعمال الشائع له فصارت اسما له.

الثامنة: فَعَل يحتمل معاني كثيرة. إذ ثمّة عدة ألفاظ جاءت على هذا البناء فسّرت بعدة أوجه، ثلاث منها من الفريد القرآني هي:

١. الحَدب في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾ [الأنبياء:٩٦] وفيه أقوال ثلاثة: أوّلها أن يكون مصدر "حدب الرجل حدَبا فهو أحدب وأحدودب وناقة حدباء تشبيها به"[٤١]. وثانيها إنّه اسم جنس يفرّق بينه بين واحده بالتاء كبقر بقرة وهو مأخوذ من حدبة الظهر، قال عنترة[٤٢]:

فما رعشت يداي ولا ازْدَهاني تواترهم إليَّ من الحِداب

ومعنى حدب الأرض: تلاعها وآكامها[٤٣]. والثالث أن يكون اسما إفراديا بمعنى النشز من الأرض وهو المرتفع من الأرض وهو مجاز من حدب الرجل إذ شبه به ما ارتفع من ظهر الأرض فسمى حدبا، وهذا ما اختاره الزمخشري وعضده بقراءة ابن عباس (من كل جدث) وهو القبر[٤٤]. وقراءة ابن عباس يفسّرها قوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾ [يس:٥١] وهو أليق بالانسلال الذي هو بمعنى الإسراع الخفي ولا يفهم معنى الانسلال من مرتفعات الأرض بل من قبورها المندثرة .

٢. النجس في قوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ﴾[التوبة:٢٨] ففي النجس قولان: أولهما :أن يكون اسما إفراديا وعليه صاحب العين في قوله: "النجس الشيء القذر من الناس ومن كلّ شيء، ورجل نجس، وقوم أنجاس"(٤٥). وثانيها أن يكون مصدرا بمعنى القذر، وعليه أبو عبيدة وآخرون، فيقال: نجس نجسا، كقذر قذرا. ومعناه ذوو نجس؛ لأنّ الشرك بمنزلة النجس(٤٦). أي إنّ المشركين" وُصفوا بالمصدر مبالغةً كأنهم عينُ النجاسةِ أو هم ذوو نجسٍ لخُبث باطنِهم أو لأنّ معهم الشركَ الذي هو بمنزلة النجَس أو لأنهم لا يتطهّرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاساتِ فهي ملابسةٌ لهم"(٤٧). والمصدر لفظه لفظ المفرد ولكنه يستوي فيه المذكر والمؤنث والمثنى والجمع ومن هنا يقدر له موصوف محذوف يطابق المذكور معه في الجنس والعدد ولذا ذكروا أن التقدير (ذوو نجس) ولو كان المذكور واحدا لقيل: ذو نجس ولو كانت واحدة لقيل: ذات نجس وكذا في التثنية(٤٨). ويبدو أنّ لفظ النجس هو اسم للشيء المستقذر كما إنّ العسل اسم للُعاب النحل والجمع مستفاد في اللفظين كمّا لا عددا.

٣. المسد في قوله تعالى: ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ [المسد:٥] وفيه ثلاثة أقوال: أولها إنّ المسد اسم إفرادي بمعنى العصا التي تكون في البكرة وهذا منقول عن ابن عباس(٤٩). وثانيها إنه اسم جنس جمعي بمعنى الودع ومعنى حبل من مسد: قلادة لها من ودع . وهذا روي عن عروة ابن الزبير وقتادة(٥٠). وثالثها إنه صفة على فعل بمعنى المفعول وعلى هذا الزمخشري في قوله" المسد: الذي فُتل من الحبال فتلا شديدا، من ليف كان أو جلد، أو غيرهما... والمعنى: في جيدها حبل ممّا مُسد من الحبال... أو في جيدها حبل من ما مُسد من سلاسل النار؛ كما يعذّب كل مجرم بما يجانس حاله في جرمه"(٥١). فحالها تكون في نار جهنم على الصورة التي كانت عليها حين كانت تحمل حزمة الشوك(٥٢). وثمة ألفاظ أخرى من المردد اشتقاقيا تعدّدت أوجه تأويلها منها:

٤. اللهب في قوله تعالى: ﴿ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ وفيه وجهان: أحدهما: ذات ارتفاع وقوة واشتعال، فوصف ناره ذات اللهب بقوتها، لأن قوة النار تكون مع بقاء لهبها. فيكون

اللهب مصدرا وصف به للمبالغة. والآخر: أن اللهب صفة على فَعَل وجيء بها في هذا الموضع لما في هذه الصفة من مضارعة كنيته التي كانت من نذره ووعيده(٥٣).

٥. القصص في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾[آل عمران:٦٢] وهو أما مصدر، أو فعل بمعنى مفعول، أي: المقصوص كالقبض، بمعنى المقبوض(٥٤).

٦. الزلق في قوله تعالى: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ [الكهف:٤٠] وهو أما اسم إفرادي للمكان الدحض ومعنى (صَعِيدًا زَلَقًا) أى دحضا لا نبات فيه نحو قوله (فتركه صلدا)، أو مصدر زلقه وأزلقه، والزلق والزلل متقاربان فيكون وصف الصعيد بالزلق من قبيل الوصف بالمصدر كما وصف الماء بالغور في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾ [الملك : ٣٠](٥٥).

٧. العجب في ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ﴾ [يونس : ٢] وهو أما مصدر في موضع خبر كان واسم كان (أن أوحينا)، و(للناس) في موضع الحال من عجبا لأنه لو تأخر لكان صفة، فلما تقدَّم كان حالا. أو أن يكون (عجبا) ليس مصدرا، بل هو صفة بمعنى معجب. والمصدر إذا كان بمعنى المفعول جاز تقدم معموله عليه كاسم المفعول، فيكون (للناس) متعلقا بـــ(عجبا) مقدما عليه(٥٦).

٨. الغدق في قوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ [الجن : ١٦] إذ المحصّل من كلام أهل التأويل وفهم المفسّرين لها ثم ما صرح به اللغويون أن لفظة الغدق تجري في هذه الدلالة أي هي من المشترك الصرفي. إذ ذكروا أن بنية اللفظة صرفيا تحتمل وجهين الأول: إنه مصدر على فعل وصف به مبالغة إذ قال الزجاج: "الغَدَقُ المصدر والغَدِقُ اسم الفاعل يقال غَدِقَ يَغْدَقُ غَدَقا فهو غَدِقٌ إذا كثر الندَى في المكان أَو الماءُ قال ويقرأُ ماء غَدِقا"(٥٧). وشايع الطوسي الزجاج فقال: "غدقا، يعني كثيرا . وغدق المكان يغدق غدقا إذا كثر فيه الماء والندى، وهو غدِق في قول الزجاج مثل فرح يفرح فرحا"(٥٨). والآخر : إن الغدق بفتح الدال كالغدق بكسرها كلاهما اسم للماء الكثير، ومن هنا لم يفرق ابن عطية بين القراءتين في قوله: "الماء الغدق: هو الماء الكثير. وقرأ

جمهور الناس «غدَقا» بفتح الدال، وقرأ عاصم في رواية الأعشى عنه بكسرها[٥٩] ومثل هذا قول الرازي: "الغدق بفتح الدال وكسرها: الماء الكثير، وقرئ بهما "[٦٠] وعلى هذا أبو حيان وابن عادل والسمين الحلبي وغيرهم[٦١].

(غدقا) لدى أهل التأويل والمفسرين .

كثرت المعاني التي نقلت عن السابقين في تأويلهم دلالة لفظة (غدقا). وعلى الرغم من كثرة تأويلاتهم للمراد بالماء الغدق يمكن حصر كلّ ما قيل في وجهين:

الأول: إن الإسقاء بالماء تعبير حقيقي فيكون نعت الماء بالغدق يفيد :

١- كثرة الماء، إذ نقل عن مقاتل أن الماء الغدق هو الواسع الكثير[٦٢] واختاره أبو عبيدة فقال: "الغدق الكثير"[٦٣]. وذلك بعد ما رفع ماء المطر عنهم سبع سنين عن مقاتل وقيل لو آمنوا واستقاموا لوسعنا عليهم في الدنيا وضرب الماء الغدق مثلا لأن الخير كله والرزق يكون في المطر وهذا كقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة : ٦٦] وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف : ٩٦][٦٤]. وعليه القرطبي في قوله: "ماء غدقا أي واسعا كثيرا وكانوا قد حبس عنهم المطر سبع سنين يقال: غدقت العين تغدق فهي غدقة إذا كثر ماؤها[٦٥]. ونقله نافع ابن لأزرق عن ابن عباس قال: أخبرني عن قوله تعالى – ماء غدقا قال: كثيرا جاريا، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول الشاعر:

تدني كراديس ملتفّا حدائقها كالنبت جادت بها أنهارها غدقا

٢- غزارة الماء، وهذا يدخل في معنى الكثرة فالغدَق: بفتح الغين المعجمة وفتح الدال الماء الغزير الكثير[٦٦].

٣- أنه ماء عذب معين ، ومنه قول أمية بن أبي الصلت[٦٧] :

مِزاجُها سلسبيلٌ ماؤها غَدَقٌ عَذْبُ المذاقةِ لا مِلْحٌ ولا كدرٌ

والماء المعين، معنى داخل في الكثرة، وهذا الوجه مروي عن ابن عباس أنه أوّل {لأسقيناهم ماء غدقا} فقال: معينا[٦٨] .

٤- سعة الماء ، قاله مجاهد[٦٩]، ومنه قول كثير[٧٠]:

وهبتُ لسُعْدَى ماءه ونباته فما كل ذي وُدٍّ لمن وَدَّ واهبُ

لتروى به سُعدى ويروى محلّها وتغْدقَ أعداد به ومشارب

٥- طهارة الماء ، إذ نقل عن ابن عباس تأويله الماء الغدق بالطاهر الكثير[٧١].

٦- الانتفاع بالماء[٧٢] وهو معنى يجمع الكثرة والطهارة فلو كان الماء غورا أو كان آجنا ليس طاهرا لما حصل الانتفاع به. والمعنى: لأسقيناهم ماء غدقا ينبت به زرعهم ويكثر مالهم. فيكون هذا زيادة في الابتلاء وهو المراد بـــ{لِنَفْتِنَهم فيه}.

٧- جريان الماء، وهو معنى مرتبط بالكثرة أيضا، وهو وجه نقله نافع بن الأزرق في مسائله عن ابن عباس عن قوله : {ماء غدقا} قال: كثيرا جاريا. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم أما سمعت الشاعر يقول[٧٣]:

تدني كراديس ملتفا حدائقها كالنبت جادت به أنهارها غدقا[٧٤]

واستظهر البقاعي أن يكون الماء حقيقيا مرادا به كل ما ذكر، ذلك أن الماء لما كان أصل كل خير كما قال تعالى في قصة نوح عليه الصلاة والسلام ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ [نوح : ١١] وكان منه كل شيء حيّ وكان عزيزا عند العرب، قال معظما له بالالتفات إلى مظهر العظمة: {لأسقيناهم} أي جعلنا لهم بما عندنا من العظمة {ماء غدقا*} أي كثيرا عظيما عظيم النفع نكثر به الرزق ونزين به الأرض ونرغد به العيش[٧٥]. ومعنى {لنفتنهم} أي نعاملهم معاملة المختبر بما لنا من العظمة {فيه} أي في ذلك الماء الذي تكون عنه أنواع النعم لينكشف حال الشاكر والكافر، قال الرازي: وهذا بعد ما حبس عنهم المطر سنين[٧٦].

الثاني: الماء الغدق تعبير مجازي واختلفوا في مدلوله على أوجه :

١- الماء الغدق كناية عن المال الكثير، إذ نقل الطبري عن مجاهد أن تأويل (لأسقيناهم ماء غدقا) هو (لأعطيناهم مالا كثيرا نافعا)[٧٧].

ونقلوا عن عمر بن الخطاب قوله: حيث يكون الماء فثم المال، وحيث يكون المال فثم الفتنة، ونزع بهذه الآية، وقال الحسن وابن المسيب وجماعة من التابعين: كانت الصحابة سامعين مطيعين، فلما فتحت كنوز كسرى وقيصر وثب بعثمان فقتل وثارت الفتن[٧٨]. وهذا الوجه مروي أيضا عن مجاهد أبي مالك وابن زيد[٧٩]. وهو مردود بأنّ المسلمين بعد قتل عثمان استقاموا على طاعة الله أيضا فلا يكون مقتل عثمان سببا لسلبهم هذه النعمة.

٢- الماء الغدق كناية عن الخير الكثير إذ نقل عن الضحاك، في قوله: ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ ﴾ قال: هذا مثل ضربه الله كقوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) لنبتليهم فيه. واختار ابن قتيبة هذا الوجه فقال: "المعنى لو آمنوا جميعا لوسعنا عليهم في الدنيا، وضرب الماء الغدق مثلا؛ لأن الخير كله والرزق بالمطر، وهذا كقوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ ﴾ الآية، وقوله: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾وقوله: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ ﴾ "[٨٠] .

٣- الماء الغدق كناية عن السعة في الرزق في الدنيا إذ نقل عن قتادة، قوله: ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴾ قال: لو آمنوا كلهم لأوسعنا عليهم من الدنيا. ومعنى {لأسقيناهم مَّاء غَدَقا} أيْ لوسَّعنا عليهم الرزقَ وتخصيصُ الماءِ الغدقِ وهو الكثيرُ بالذكر، لأنَّه أصلُ المعاشِ والسَّعةِ ولعزةِ وجودِه بين العربِ وكثرته أصل السعة فقد قيل المال حيث الماء ولعزة وجوده بين العرب[٨١] .

٤- الماء الغدق مستعار للعيش الرغيد، إذ نقل عن الربيع بن أنس (مَاءً غَدَقًا) قال: عيشا رَغدًا[٨٢]. قال العين: "قوله لأَسقيناهم ماء غَدَقا أي لفتحنا عليهم أَبواب المعيشة لنفتنهم بالشكر والصبر"[٨٣].

٥- الماء الغدق العلم الكثير ففي تفسير أهل البيت (عليهم السلام) عن أبي بصير قال قلت لأبي جعفر (عليه السلام) قول الله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ ﴾ قال هو والله ما أنتم عليه ولو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا. وعن بريد العجلي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال معناه لأفدناهم علما كثيرا يتعلمونه من الأئمة. قوله: (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ)؟ قال: "إنَّما هؤلاء يفتنهم فيه، يعني المنافقين"[٨٤]. وجوز البقاعي هذا فقال: "يجوز أن يكون مستعارا للعلم وأنواع المعارف الناشئة عن العبادات التي هي للنفوس كالنفوس للأبدان وتكون الفتنة بمعنى التخليص من الهموم الرذائل في الدنيا والنقم في الآخرة ، من فتنت الذهب – إذا خلصته من غشه"[٨٥].

٦- الماء الغدق: السراط المستقيم إذ نقل عن ابن عباس تأويله (لأسقيناهم ماء غدقا) بـــ (لهديناهم الصراط المستقيم)[٨٦].

(غدقا) لدى اللغويين .

قرن اللغويون مادة (غدق) بالماء وتفرعاته كالندى والمطر والغيث والعين والينبوع والبئر والسحاب ونحو هذا، وأطلقت على معان أخرى من باب التشبيه باعتبارات مختلفة ـــ ويمكن ترتيب مشتقات الجذر (غدق) من الحقيقي إلى المجازي وإنما هو ترتيب لها لأنها جاءت متداخلة في المعجم[٨٧] حتى كأن لا ربط بين استعمال وآخر وكما يأتي.

- الغَدَق المطر الكثير العامّ وقد غَيْدَقَ المطرُ كثر
- الغَدَق الماء الكثير وإن لم يكُ مطرا
- غَدِقَ الندى والماء يَغْدَقُ غَدَقا فهو غَدِقٌ إذا كثر في المكان
- أَرض غَدِقةٌ في غاية الرِّيِّ وهي النَّديّة المبتلة الرُّبى الكثيرة الماء وعُشْبُها غَدِقٌ
- غَدَقُهُ بلَلُه وريُّه وكذلك عشب غَدِقٌ بيِّن الغَدَق مبتلٌّ رَيّان
- غَدِقَتِ العين غَدَقا فهي غَدِقة واغْدَوْدَقَتْ غَزُرَتْ وعذُبت
- ماءٌ مُغْدَوْدِقٌ وغَيْداقٌ غزير ومطر مُغْدَوْدقٌ كثير
- غَدِقَتْ عين الماء بالكسر أَي غَزُرت
- غيث غَيْداق كثير الماء
- في حديث الاستسقاء اسقنا غَيْثًا غَدَقا مُغْدِقا الغَدَق بفتح الدال المطر الكبار القَطْرِ والمُغْدِقُ مُفْعل منه أَكَّده به وأَغْدَقَ المطرُ يُغْدِق إِغْداقا فهو مُغْدِق
- عينٌ غُدَيْقةٌ أَي كثيرة الماء مصغرةً وهو من تصغير التعظيم
- غَدِقَتِ الأَرض غَدَقا وأَغْدَقَتْ أَخصبت
- عام غَيْداقٌ مُخْصب وكذلك السنة غَيْداقٌ بغير هاء
- عيش غَيْدَق وغَيْداقٌ واسع مخصب وهم في غَدَقٍ من العيش وغَيْداقٍ
- غَيْدَقَ الرجلُ كثر لُعابه على التشبيه
- شابٌّ غَيْدَقٌ وغَيْداقٌ أَي ناعم
- الغَيْداقُ الكريم الجواد الواسع الخلق الكثير العطية وقيل هو الكثير الواسع من كل شيء.

- وإنه لغَيْداق الجري والعَدْوِ قال تأبَّط :

شرّا حتى نجَوْتُ ولمّا يَنزِعُوا سَلَبي بواله من قَنِيصِ الشَّدِّ غَيْداق

- الغَيْداق الطويل من الخيل .
- الغَيْدَاق من الغلمان الذي لم يبلغ وقيل هو ذو الرَّخاصة والنَّعْمة والغَيْداقُ من الضِّباب الرخص السمين .
- الغَياديقُ الحيّات

وينكشف اللثام أكثر عن دلالته الغدق عند تلمس دلالة نظائره في باب (الاستبدال الفونيمي)، وهما (الغدير) و(الودق)، فأما الغدير فمن الجذر (غدر) وهو نظير (غدق) صوتيا خلا ما في آخرهما من مبادلة صوتية بين القاف والراء. فـ " الغدير: الماء الذي يغادره السيل في مستنقع ينتهي إليه، وجمعه: غدر وغدران "[٨٨]، وتتضح العلاقة بين غدير الماء والغدر بمعنى الغيلة والمكر في إن الأصل في مادة (غدر) أن تكون للمستنقع الذي يجتمع فيه الماء فحسب، وربما يغادره الماء إذا ما اشتد المطر ليكون سيلا جارفا يأتي على كل شيء في طريقه ومن هنا أخذ العرب معنى الغدر وهو "الإخلال بالشيء وتركه، والغدر يقال لترك العهد، ومنه قيل: فلان غادر، وجمعه: غدرة، وغدار: كثير الغدر"[٨٩]. وإنما لاعم طغيان الماء من المستنقع معنى الغدر لأن ذلك يكون خفية ودونما ضجيج فيأتيهم بغتة وحينها يكون أثره عليهم أشد لأنهم لم يعدوا العدة له. بخلاف ما إذا كان ودقا إذ تظهر أمارات مجيئه من هبوب الرياح وإثارة السحاب وتشكيل الركام أو الكسف كما في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [النور: ٤٣] وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [الروم: ٤٨].

فالودق المطر والتعبير القرآني دقيق في استعمال الودق دون نظائره لأنه ذكر معه الرؤية ولو وصل إلى الأرض واستغدر في قيعانها لما صح نعته بالودق لأنه محاكاة لحبات المطر النازلة من الغيم حتى سقوطها على سطح الأرض وهذا المعنى يدل عليه جرس اللفظة (ودق) فالواو الهوائي يحاكي اندفاع قطر المطر من السحاب نحو الأرض والدال يحاكي ارتطام بعضها مع بعض أو عند اتصالها بالأرض والقاف يحاكي تشكلها بعد تطايرها هنا وهناك لتكوين

الماء فالودق مقدمة للغدير لأن الودق من السماء والغدير من الأرض. ويبدو أن الغدق يجمع المعنيين أعني إنه يشتمل على معنى الغدير والودق معا فيكون شاملا لما نبع من الأرض.

هذا هو المعنى الحقيقي للغدق أن يكون في الماء ومم اشتق منه قولهم: روضة مغدقة أي كثيرة الماء، ومطر مغدوق وغيداق وغيدق إذا كان كثير الماء، وتوسعوا فيه قليلا للدمع فقالوا: غدقت العين بالكسر فهي غدقة، أي: هطل دمعها غدقا. وقالوا: الغيداق للرجل الكثير الكرم، والكثير النطق[٩٠]. فالغدق وصف للماء من قبيل الوصف بالمصدر إذ جيء بالمصدر بدلا من اسم الفاعل لما في الوصف بالمصدر مبالغة أكثر من المشتق. ففي قوله تعالى ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴾ [الملك ٣٠] ورد الغور بمعنى الغائر وأصل الغور ذهاب الماء في الأرض[٩١]، والإخبار به عن الماء من باب الوصف بالمصدر للمبالغة، والمعنى غائرا[٩٢]، والمبالغة في (غورا) بورود المصدر بدل المشتق (اسم الفاعل) غائرا قد قابلت المبالغة في (معين) في الاستفهام الإنكاري في تتمة الآية (فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ)، فالمعين : فعيل من المعن وهو الجريان أي ماءٍ جارٍ ظاهرٍ على وجه الأرض يمكن الحصول عليه بيسرٍ وسهولة لا غائرٍ في الأرض[٩٣].

السياق وأثره في بيان دلالة (غَدقا)

سياق الآية يفصح عن انَّ الماء الغدق لم يظفر به آدمي في الدنيا حتى الساعة لأن التعبير القرآني جاء مصدرا بـــ (لو) الشرطية الدالة على امتناع شيء لامتناع غيره، فالماء الغدق ممتنع عنهم لامتناع استقامتهم على الطريقة التي تعددت أقوالهم في بيان معناها. ومجمل ما ذكروه في تأويلها محصور في أربعة أوجه:

الأول: الطريقة بمعنى الهدى أو الحق أو الإسلام أو الإيمان بالله على اختلاف في التقدير بين أهل التأويل ومنهم ابن عباس ومجاهد وقتادة، وسعيد بن جبير، وسعيد بن المسيب، وعطاء، والسدي وغيرهم[٩٤]. إذ ذكروا أنّ الآية نزلت في كفار قريش حين مُنعوا المطر سبع سنين. فيكون الضمير في (استقاموا) عائدا إليهم والمعنى: أن لو آمن المشركون واستقاموا على الهدى لأسقيناهم ماء كثيرا من السماء[٩٥]. وجاء ذكر الماء كناية عن الرزق الوفير فأينما كان الماء كان المال وأينما كان المال كانت الفتنة أي إن {لأسقيناهم ماء غدقا} "كناية عن توسعة الرزق لأنه أصل المعاش. وقال بعضهم: "المال حيث الماء"[٩٦]. وهذا كقوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّهُمْ**

﴿ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ﴾[المائدة: ٦٦] وكقوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ٩٦]. وعلى هذا يكون معنى {لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ} لنختبرهم كيف يشكرون نعمة الله عليهم(٩٧). ولنعاملهم معاملة المختبر في شدة التعبد بتكليف الانصراف عما تدعو شهواتهم إليه، وفي ذلك المحنة الشديدة وهي الفتنة، والمثوبة تكون على قدر المشقّة في الصبر عما تدعو إليه الشهوات(٩٨) .

وجَوّز آخرون منهم الزجاج أن يكون ضمير (استقاموا) عائدا على الجن القاسطين، والمعنى: لو استقامَ إبليس أبو الجانّ على ما كان عليه من عبادة الله تعالى وطاعتِه ولم يتكبرْ عن السجود لآدمَ عليه السَّلامُ ولم يكفر وتبعه ولدُه في الإسلامِ لأنعمنا عليهم ووسَّعنا رزقَهم. ونظيره قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا ﴾ [المائدة:٦٥] وقوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا ﴾ [المائدة:٦٦] وقوله: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ ﴾ [الطلاق:٢،٣] . والمعنى لو آمنوا لوسعنا عليهم في الدنيا ولأعطيناهم ماء كثيرا وعيشا رغدا . وإنما ذكر الماء الغدق كناية عن طيب العيش وكثرة المنافع، لأن الخير والرزق كله أصله من الماء وقوله (لنفتنهم فيه) أي لنختبرهم كيف شكرهم فيما خولوا فيه(٩٩). واستظهر الرازي وغيره أن يكون المراد بالضمير في (استقاموا) هم الإنس، واحتج "عليه بوجهين أولهما: أنّ الترغيب بالانتفاع بالماء الغدق إنما يليق بالإنس لا بالجن، والثاني: أن هذه الآية إنما نزلت بعدما حبس الله المطر عن أهل مكة سنين، أقصى ما في الباب أنه لم يتقدم ذكر الإنس، ولكنّه لما كان ذلك معلوما جرى مجرى قوله: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ [القدر: ١]"(١٠٠).

الثاني: الطريقة بمعنى الكفر والضلالة والمراد لو كفر من أسلم من الناس {لأسقيناهم ماء غدقا إملاء لهم واستدراجا ، وهذا اختيار الفراء الذي عضد رأيه بقوله تعالى: ﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ ، يعنى أبواب الرزق والمطر وهو الخير في الدنيا لنفتنهم فيه(١٠١). وعزي إلى ثعلب مشايعته الفراء في أن معنى الآية هو "لو استقاموا على طريقة الكفر لفتحنا عليهم باب اغْترارٍ كقوله تعالى لَجَعَلْنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سُقُفا من فضة"(١٠٢). وهذا الوجه مروي – أيضا– عن طائفة من أهل التأويل. والضمير في {استقاموا} عائد على قوله {من أسلم} [الجن:١٤]. والخطاب للمشركين والمعنى أنهم لو استقاموا على طريقة الكفر وكانوا كفارا كلهم

لأعطيناهم مالا كثيرا ولوسعنا عليهم تغليظا للمحنة في التكليف واستدراجا لهم لذلك قال (لنفتنهم فيه) أي لنختبرهم بذلك عقوبةً لهم واستدراجًا حتى يفتتنوا بها فنعذّبهم(١٠٣).

واختار الزجاج تأويل الاستقامة بالهدى والحق لا الكفر والضلال لأنه تعالى ذكر الطريقة معرفة بالألف واللام فتكون راجعة إلى الطريقة المعروفة المشهورة وهي طريقة الهدى(١٠٤). واستظهر الطبرسي أن "الأولى أن تكون الاستقامة على الطريقة محمولة على الاستقامة في الدين والإيمان لأنها لا تطلق إلا على ذلك ولأنها في موضع التلطف والاستدعاء إلى الإيمان والحث على الطاعة"(١٠٥). واعتمد ابن عطية – في رده هذا الوجه – على ما نُقل عن قتادة وابن جبير وابن عباس ومجاهد أنّ الضمير عائد على (القاسطين). والاستقامة على طريقة الإسلام والحق والفتنة نعمة عليهم، وهذا المعنى نحو قوله تعالى: {ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم} [المائدة: ٦٥]، وقوله تعالى: {لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم} [المائدة: ٦٦]. وهذا القول أبين لأن استعارة الاستقامة للكفر قلقة(١٠٦). والاستقامة لغة هي الاستمرار في جهة العلو. والمستقيم من الكلام المستمر على طريقة الصواب. والمعنى – ههنا – في قول أكثر المفسرين: إنه لو استقام العقلاء على طريقة الهدى استمروا عليها وعملوا بموجبها لجازاهم على ذلك بأن أسقاهم ماء غدقا(١٠٧). فالضمير في استقاموا يعود إلى الثقلين أي لو استقام الإنس والجن على طريقة الإيمان، فهذا أظهر من أن يقال: إن المراد هو طريقة الكفر والخطاب للكافرين لأن المفهوم من مدلول الاستقامة يأبى هذا التأويل ولذا رفض ابن عاشور مذهب الفراء ولم ير حجة له في عود الضمير على القاسطين من الجن فيكون المطلوب استقامتهم على طريقة الكفر ذلك إن الضمير في {استقاموا} يجوز أن يعود إلى القاسطين بدون اعتبار القيد بأنهم من الجن وهو من عود الضمير إلى اللفظ مجردا كقولك: عندي درهم ونصفه، أي نصف درهم آخر. ويجوز أن يكون عائدا إلى غير مذكور في الكلام ولكنه معروف من المقام إذ السورة مسوقة للتنبيه على عناد المشركين وطعنهم في القرآن، فضمير {استقاموا} عائد إلى المشركين، وذلك كثير في ضمائر الغيبة التي في القرآن، ولا يناسب أن يعاد على القاسطين من الجن إذ لا علاقة للجن بشرب الماء. والاستقامة على الطريقة: استقامة السير في الطريق وهي السير على بصيرة بالطريق دون اعوجاج(١٠٨). والاستدلال بآية ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً ﴾ بعيد عن هذا لأنها مخصوصة بقوم أهلكوا من حيث لا يشعرون فضلا عن إن لفظة الكل هاهنا المراد بها التكثير دون العموم مثل

قوله تعالى: (وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) وقوله تعالى: (وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا). وفي هذا الوجه جوز آخرون عود ضمير الاستقامة على الجن والمعنى: لو استقام الجن الذين سمعوا القرآن على طريقتهم التي كانوا عليها قبل الاستماع ولم ينتقلوا عنها إلى الإسلام لوسعنا عليهم الرزق، استدارجا لنوقعَهُم في الفتنةِ ونعذبهم في كُفرانِ النعمةِ ونظيره قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ ﴾ [الزخرف : ٣٣] فيكون معنى {لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ} كقوله: ﴿ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ﴾[آل عمران : ١٧٨] [١٠٩] .

ولم يجد الرازي في الآيتين دليلا يعضد كون المراد بالضمير هم الجن والطريقة هي كفرهم والفتنة هي استدراج لهم ذلك أنّ "من آمن فأنعم الله عليه كان ذلك الإنعام أيضا ابتلاء واختبارا حتى يظهر أنه هل يشتغل بالشكر أم لا، وهل ينفقه في طلب مراضي الله أو في مراضي الشهوة والشيطان ... وههنا يكون إجراء قوله: {لأسقيناهم مَّاء غَدَقا} على ظاهره أولى لأن انتفاع الإنس بذلك أتم وأكمل"[١١٠].

الثالث: الطريقة جنس عام في كل سبيل واضح بمعنى" الطريق: ولعلها خاصة بالطريق الواسع الواضح ... والاستقامة على الطريقة تمثيل لهيئة المتصف بالسلوك الصالح والاعتقاد الحق بهيئة السائر سيرا مستقيما على طريقة، ولذلك فالتعريف في {الطريقة} للجنس لا للعهد"[١١١]. وهذا غريب أن يكون المراد بالطريقة جنسا لأنها ليست محمودة على كل حال فلم ينفعها التعريف تخصيصا ولا رقيا كما في قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴾ [طه : ٦٣].

الرابع: الطريقة بمعنى الولاية، والمراد بها ولاية أهل البيت ،ففي تفسير على بن إبراهيم المعروف بالقمي بإسناده إلى عبادة بن صهيب عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام في قول الله عزّ وجلّ: فمن اسلم فأولئك تحروا رشدا اى الذين اقروا بولايتنا فأولئك تحروا رشدا واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا معاوية وأصحابه وان لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءا غدقا الطريقة الولاية لعلى (عليه السلام)[١١٢]. وورد مثل هذا الخبر في أصول الكافى عن أحمد بن مهران عن عبد العظيم بن عبد الله الحسنى عن موسى بن محمد عن يونس بن يعقوب عمن ذكره عن أبى جعفر عليه السلام في قول الله: "وان لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا " قال: يعنى لو استقاموا على ولاية أمير المؤمنين علي والأوصياء من ولده عليهم السلام وقبلوا طاعتهم في أمرهم ونهيهم " لأسقيناهم ماء غدقا" يقول: لأشربنا قلوبهم

الإيمان، والطريقة هي الإيمان بولاية علي والأوصياء[١١٣] . وجاء في متشابه القرآن لابن الحجام "عن أحمد بن القاسم، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن خالد، عن محمّد ابن عليّ، عن محمّد بن مسلم، عن بريد العجلي قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عزّ وجلّ: (وَأَنْ لَو استَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ)، قال: "يعني على الولاية". ومعنى الفتنة هو الاختبار وهو المعنى اللغوي لها لا العرفي إذ يقال: فتنت الذهب بالنار لمعرفة جيده من زائفه، والمراد في الآية اختبراهم في الدنيا كي يتبين الموالي من المعاند. أو هو ابتلاء لهم، من يستمر على الولاية ومن يرتد إلى الغواية؟. وجاء في مجمع البيان "عن أبى بصير قال: قلت لأبى جعفر عليه السلام قول الله: "ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا" قال: هو والله ما انتم عليه "وان لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا"[١١٤]. وفي هذا الوجه الضمير راجع إلى الإنس وتم الخبر عن الجن ثم رجع إلى خطاب الإنس فقال تعالى: {وأن لو استقاموا} يعني أهل مكة من مسلمين وكافرين على موالاة العترة الطاهرة {لأسقيناهم ماء غدقا} وهو كناية عن سعة الرزق ووفرة الخير. ولم يستبعد الطباطبائي "أن يستفاد من السياق أن قوله: "لأسقيناهم ماء غدقا" مثلٌ أريد به التوسعة في الرزق، ويؤيده قوله بعده: "لنفتنهم فيه". والمعنى: وأنه لو استقاموا أي الجن والإنس على طريقة الإسلام لله لرزقناهم رزقا كثيرا لنمتحنهم في رزقهم فالآية في معنى قوله: "ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض"[١١٥].

وهذا القول هو الصواب لأن الطريقة معرفة بالألف واللام وهذا هو تعريف العهد وهي طريقة الهدى والاستقامة لا تكون مع الكفر بل مع الهدى المشار إليه في الآية ﴿ **وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ** ﴾ [طه: ٨٢] والقول بأن الآية في الإنس أولى لأن الإنس هم الذين ينتفعون بالمطر فضلا عن إن تتمة الآيات متعلقة بالإنس كما في {ومن يعرض عن ذكر ربه} أي عن عبادة ربه وقيل عن مواعظه {يسلكه} أي يدخله {عذابا صعدا} أي عذابا شاقا أو عذابا لا راحة فيه[١١٦]. ونقل الرازي عن القاضي: الأقرب أن الكل يدخلون فيه أي أن كلا من الجن والإنس مدعوون إلى الاستقامة كي يسقوا الماء الغدق[١١٧].

ويبدو أن أبين من تلمّس معناه هو الطاهر ابن عاشور الذي رأى أن: {لأسقيناهم ماء غدقا} وعد بجزاء على الاستقامة في الدين جزاءً حسنا في الدنيا يكون عنوانا على رضى الله تعالى وبشارة بثواب الآخرة قال تعالى: ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ** ﴾ [النحل: ٩٧]. وقد كانوا يوم نزول هذه الآية في

بحبوحة من العيش وفي نخيل وجنات فكان جَعْل ترتُّب الإسقاء على الاستقامة على الطريقة كما اقتضاه الشرط بحرف {لو} مشيرا إلى أن المراد: لأدَمْنا عليهم الإسقاء بالماء الغَدَق، وإلى أنهم ليسوا بسالكين سبيل الاستقامة فيوشك أن يُمسك عنهم الري ففي هذا إنذار بأنهم إن استمروا على اعوجاج الطريقة أمسك عنهم الماء. وبذلك يتناسب التعليل بالإفتان في قوله: {لنفتنهم فيه} مع الجملة السابقة إذ يكون تعليلا لما تضمنَه معنى إدامة الإسقاء فإنه تعليل للإسقاء الموجود حين نزول الآية وليس تعليلا للإسقاء المفروض في جواب {لو} لأن جواب {لو} منتفٍ فلا يصلح لأن يُعلل به، وإنما هم مفتونون بما هم فيه من النعمة فأراد الله أن يوقظ قلوبهم بأن استمرار النعمة عليهم فتنة لهم فلا تغرنهم. فلام التعليل في قوله: {لنفتنهم فيه} ظرف مستقر في موضع الحال من {ماء غدقا} وهو الماء الجاري لهم في العيون ومن السماء تحت جناتهم وفي زروعهم فهي حال مقارنة. وبهذا التفسير تزول الحيرة في استخلاص معنى الآية وتعليلها.

ومما يعضد كون الماء الغدق غير محصل حتى الساعة أن التعبير القرآني ذكر معه الإسقاء لا السقي وقد ذكر أن الفرق بين سقى وأسقى، يتجلى في أمرين أولهما، أن السقي "لما لا كلفة فيه ولهذا ذكر في شراب الجنة نحو وسقاهم ربهم شرابا – والثاني لما فيه كلفة ولهذا ذكر في ماء الدنيا نحو لأسقيناهم ماء غدقا"[١١٨]. والآخر إن "الإسقاء أبلغ من السقي، لأن الإسقاء أن تجعل له ما يسقي منه ويشرب، والسقي أن تعطيه ما يشرب "[١١٩]. وما ذكروه في إعراب الآية يعضد التأويل المختار إذ ذكروا أن كل ما كان في هذه السورة من (أنَّ) المثقلة فهي حكايةٌ لقول الجن الذين سمعوا القرآن، فرجعوا إلى قومهم منذرين، وكل ما فيها من (أن) المفتوحة المخففة فهي وحي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وجوزوا في العطف وجهين الأول: على تقدير: {أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ ... وَأَلَّوِ استقاموا} وفي هذا الوجه يضمر يمينا ، وتأويلها: والله أن لو استقاموا على الطريقة، كما قال الشاعر[١٢٠]:

أمَا – واللَّهِ – أن لَوْ كُنْتَ حُرّا ومَا بالحُرِّ أنْتَ ولا العَتِيق

والآخر: على تقدير (آمنا به وبأن لو استقاموا) ويستغنى عن إضمار اليمين[١٢١] .

وأما معمولا (أنْ) المخففةٌ من الثقيلةِ، فاسمها ضمير الشأن وخبرها {لو استقاموا} إلى آخر الجملة، والمَعْنى وأُوحيَ إليَّ أنَّ الشأنَ لو استقامَ الجِنُّ والإنسُ أو كلاهُما[١٢٢]. وإنما جيء ب {أن} المفتوحة الهمزة لأن ما بعدها معمول لفعل {أوحي} فهو في تأويل المصدر، والحرف

(لو) يفيد امتناع شيء لامتناع غيره. فيكون سبك الكلام: أوحي إليَّ إسقاءُ الله إياهم ماء في حال استقامتهم. أي إنهم قد منعوا الماء الغدق لعدم استقامتهم(١٢٣).

الخاتمة

يعدّ البحث محاولة جادّة في نقض ظاهرة الاشتراك الصرفي أو الأوجه التأويلية المتعددة للفظة الواحدة في التعبير القرآني، وما يتبع ذلك التأويل المتعدد من قول بالتحول الصرفي الذي يراد منه أن تنوب صيغة صرفية عن صيغة أخرى تؤدّي معناها وتظفر بموقعها في السياق، واجتهد البحث في نقض التأويل الاحتمالي ليقرّ التأويل القطعيّ وذلك بالاعتماد على الإعجاز اللغوي الذي يتمثل بالحفاظ على البناء اللفظي كما هو في المصحف دون القول بأنه محول من بناء آخر وبالحفاظ على وحدة التركيب الذي يشتمل على اللفظة دون القول: إنه تركيب حذف منه لفظ أو زيد فيه آخر. ومن ثم لا مسوغ لهذا الكم من الوجوه التأويلية المتعددة في توجيه دلالة ألفاظ القرآن الكريم الذي هو كتاب واحد أنزله ربّ واحد ونزل به ملك واحد على قلب نبيّ واحد وألفاظه واحدة موحّدة يؤدي كلّ منها معنى واحدا مُبينا لا متعدِّدا مُريبا، فمن أين ينسل إليها التوجيه المحتمل والجائز ؟.

هوامش البحث ومصادره:

(١) ينظر: دراسات لأسلوب القرآن والمعجم المفهرس لأبنية القرآن الكريم

(٢) المفردات ٤٢٩

(٣) جامع البيان ٤٣/٧

(٤) الكشاف ٣١٥/٢

(٥) ينظر: القاموس المحيط ٨٨٩

(٦) ينظر: المفردات ٥٥١

(٧) ينظر: الصحاح ولسان العرب ١١/٩

(٨) ينظر: النكت والعيون ١١٣/٤ ولسان العرب ١٧٥/٢١

(٩) البحر المحيط ٥٩١/٤

(١٠) النكت والعيون ٣٩٤/٣

(١١) النكت والعيون ٣٩٤/٣

(١٢) ينظر: المفردات ٥٦٦

(١٣) الكشاف ١٦٨/٤

(١٤) الكشاف ٦٢٧/٤ وأنوار التنزيل ٢٥٢/٥ وروح المعاني ٨٧/٢٩.

(١٥) الكشاف ٦٢٧/٤ وينظر: ومدارك التنزيل ٣٣٣/٤ والدر المصون ٤٩٠/١٠ واللباب ٤٢٠/١٩.

(١٦) الكشاف ٥١٥/٢ وينظر: معاني القرآن لأخفش ٥٠٢/٢ ومعاني القرآن وإعرابه ١٥٨/٣.

(١٧) ينظر: الصحاح ١٢٣ ولسان العرب ١٧/٣

(١٨) ينظر: الصحاح ١٠٥٧

(١٩) الكشاف ٢٩٨/٤

(٢٠) المفردات ٢٤٢

(٢١) البحر المحيط ٤:٥٩٣ وينظر: الكشاف ٥٨٣/٢.

(٢٢) الكشاف ٣٠٠/٤

(٢٣) الكشاف ١٣٧/٣

(٢٤) ينظر: المخصص٥٦/١٤ والكليات١٢٤/٣ ومعاني الأبنية ٦٦.

(٢٥) ينظر: نهج البلاغة: الخطبة ١٠٦ ص: ١٩٣.

(٢٦) مع نهج البلاغة للسامرائي ٢٩٣ وينظر: ١٧٨.

(٢٧) ينظر:معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٣٤٤ والمفردات ٨٨٣ الكشاف ٥٢٢/٢.

(٢٨) الكشاف ١٦٩/٤

(٢٩) ينظر: الصحاح ٩٦، ٢٣٥

(٣٠) ينظر: النكت والعيون ٤٨٤/١.

(٣١) ظ : الفخر الرازي ١٦٥/٣٢/١١

(٣٢) ينظر: الكتاب ١٩/٣ وشرح الشافية ١٥٦/١.

(٣٣) المفردات ٣٥٩

(٣٤) الموسوعة القرآنية ٤٧٤/٨

(٣٥) ينظر: جمهرة اللغة ٣٠٠/١ وتهذيب اللغة ٧٤/١٠.

(٣٦) ينظر: جامع البيان ١٨٩/١٧/١٠-١٩٠

(٣٧) ينظر: معاني القرآن ٢٢٤/٢ وينظر: الكشاف ١١/٣

(٣٨) تهذيب اللغة ٣/٥

(٣٩) تهذيب اللغة٣/٥ وينظر: لسان العرب ٤٣/٣

(٤٠) ينظر: المفردات ٨٠٧ ولسان العرب ٦٨/٢٠

(٤١) المفردات ٢٢٢

(٤٢) ديوانه ٢٦.

(٤٣) ينظر: النكت والعيون ٤٧١/٣

(٤٤) ينظر: الكشاف ٥٨٤/٢

(٤٥) ينظر: العين ١٧٥٩/٣

(٤٦) ينظر: مجاز القرآن ٢٥٥/١ والكشاف ١٨٣/٢

(٤٧) إرشاد العقل السليم ٨٩/٤ وينظر: روح المعاني ٣٧٥/١٠

(٤٨) ينظر: الفخر الرازي ٢٢/١٦/٦ ومعالم التنزيل ٣٢٨/٢

(٤٩) ينظر: جامع البيان ٤٣٨/٣٠/١٥

(٥٠) ينظر: جامع البيان ٤٣٨/٣٠/١٥

(٥١) الكشاف ٢٩٧/٤

(٥٢) الكشاف ٢٩٧/٤

(٥٣) اللباب في علوم الكتاب ٥٥٠/٢٠

(٥٤) ينظر: البحر المحيط ١٩٢/٣

(٥٥) ينظر: المفردات ٣٢٨ والكشاف ٤٨٥/٢

(٥٦) ينظر: البحر المحيط ٧/٦-٨.

(٥٧) معاني القرآن وإعرابه ١٨٣/٥

(٥٨) التبيان للطوسي ١٢٦/١٠ وينظر: مجمع البيان ١٥١/٢٩/١٠

(٥٩) ينظر: المحرر الوجيز ٣٨٢/٥

(٦٠) الفخر الرازي ١٤٤/٣١/١١

(٦١) ينظر: البحر المحيط ٢٩٩/١٠-٣٠٠ والدر المصون ١٢٢/١٤ واللباب في علوم الكتاب ٤٢٧/١٩-٤٢٩

(٦٢) ينظر: جامع البيان ١٣٨/٢٩/١٤-١٣٩ والدر المنثور ١٧٧/١٠ وفتح القدير ٣٣٣/٧

(٦٣) مجاز القرآن وينظر: الفخر الرازي ١٤٤/٣١/١١

(٦٤) ينظر: مجمع البيان ١٥١/٢٩/١٠

(٦٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٣/١٩

(٦٦) ينظر: جامع البيان ١٣٨/٢٩/١٤-١٣٩ والدر المنثور ١١٧/١٠

(٦٧) ديوانه ٥١

(٦٨) ينظر: جامع البيان ١٣٨/٢٩/١٤-١٣٩ والنكت والعيون ١١٧/٦ والدر المنثور ١١٨/١٠ وفتح القدير ٣٣٣/٧

(٦٩) ينظر: النكت والعيون ١١٧/٦

(٧٠) ديوانه ٣٠

(٧١) ينظر: جامع البيان ١٣٨/٢٩/١٤-١٣٩

(٧٢) ينظر: جامع البيان ١٣٨/٢٩/١٤-١٣٩

(٧٣) لم أقف على قائله

(٧٤) ينظر: الإتقان ١٤٥/١ والفخر الرازي ١٤٤/٣١/١١

(٧٥) ينظر: نظم الدرر ١١٧/١٠-١١٨.

(٧٦) ينظر: الفخر الرازي ١٤٤/٣١/١١

(٧٧) ينظر: جامع البيان ١٣٨/٢٩/١٤-١٣٩

(٧٨) ينظر: المحرر الوجيز ٣٨٢/٥ ونظم الدرر ١٩٣/٨ وفتح القدير ٣٣٣/٧ والكشف والبيان ٢٩٥/٦ والنكت والعيون ١١٧/٦ والجامع لأحكام القرآن ١٣/١٩

(٧٩) ينظر: جامع البيان ١٣٨/٢٩/١٤-١٣٩ والنكت والعيون ١١٧/٦ والدر المنثور ١١٨/١٠

(٨٠) ينظر: تأويل مشكل القرآن ٢٤٣/١ وينظر: التسهيل لعلوم التنزيل ٤١٩/٢ والفخر الرازي ١٤٤/٣١/١١ والدر المنثور ١١٨/١٠

(٨١) ينظر: النكت والعيون ١١٧/٦ وإرشاد العقل السليم ٢٣٨/٨ والدر المنثور ١١٨/١٠ وروح المعاني ١٤٢/٢٩

(٨٢) ينظر: النكت والعيون ١١٧/٦ والدر المنثور ١١٨/١٠

(٨٣) العين ٣٥٣/٤

(٨٤) ينظر: تأويل ما نزل في النبي ٤٣٠-٤٣١ ومجمع البيان ١٥١/٢٩/١٠

(٨٥) ينظر: نظم الدرر ١٩٣/٨

(٨٦) ينظر: النكت والعيون ١١٧/٦

(٨٧) ينظر: الصحاح ٧٦٦ ولسان العرب ٢٩/١٥ والقاموس المحيط ٨٤٢

(٨٨) المفردات ٦٠٢

(٨٩) المفردات ٦٠٢

(٩٠) ينظر: المجمل ٦٦٩٢/٣ والأفعال ٤/٢

(91) ينظر: المفردات ٦١٨ ولسان العرب ١٦٧/١٥.

(92) ينظر: جامع البيان ١٧/٢٩ والتبيان للطوسي ٦٢/١٠ والتفسير الكبير ١٣٧/٢٦ والبحر المديد ١٠٨/٨.

(93) ينظر التبيان للطوسي ٣٧٣/٧، والكشاف ١٩٠/٣ والبحر المحيط ٣٩٤/٦.

(٩٤) ينظر: جامع البيان ١٣٨/٢٩/١٤-١٣٩ ومعالم التنزيل ٣٧٢/٤ وأنوار التنزيل ٥٣٥/٢ وتفسير القرآن العظيم ١٤٨/٥ والدر المنثور ١١٧/١٠

(٩٥) ينظر: مجمع البيان ١٥١/٢٩/١٠

(٩٦) البحر المحيط ٢٩٩/١٠-٣٠٠ وينظر: معالم التنزيل ٣٧٢/٤ وأنوار التنزيل ٥٣٥/٢

(٩٧) ينظر: معالم التنزيل ٣٧٢/٤ وأنوار التنزيل ٥٣٥/٢ وتفسير القرآن العظيم ١٤٨/٥.

(٩٨) ينظر: معالم التنزيل ٣٧٢/٤ وأنوار التنزيل ٥٣٥/٢ والفخر الرازي ١٤٤/٣١/١١ واللباب في علوم الكتاب ٤٢٧/١٩-٤٢٩

(٩٩) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ١٨٣/٥ والفخر الرازي ١٤٤/٣١/١١ وإرشاد العقل السليم ٢٣٨/٨ ومدارك النزيل وتفسير الخازن ١٧١/٦ واللباب في علوم الكتاب ٤٢٧/١٩-٤٢٩ وفتح القدير ٣٣٣/٧ .

(١٠٠) الفخر الرازي ١٤٤/٣١/١١ وينظر: اللباب في علوم الكتاب ٤٢٧/١٩-٤٢٩

(١٠١) معاني القرآن ٣٣٥/١

(١٠٢) لسان العرب (غدق) ٢٨٢/١٠

(١٠٣) ينظر: معاني القرآن ٣٣٥/١ وجامع البيان ١٣٨/٢٩/١٤-١٣٩ والتبيان للطوسي ١٢٦/١٠ والمحرر الوجيز ٣٨٢/٥ ومجمع البيان ١٥١/٢٩/١٠ وأنوار التنزيل ٥٣٥/٢ ومعالم التنزيل ٣٧٢/٤ والجامع لأحكام القرآن ١٣/١٩ وتفسير القرآن العظيم ١٤٨/٥ والبحر المديد ١٥٨/٨

(١٠٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ١٨٣/٥ ومجمع البيان ١٥١/٢٩/١٠ والفخر الرازي ١٤٤/٣١/١١ واللباب في علوم الكتاب ٤٢٧/١٩-٤٢٩ وفتح القدير ٣٣٣/٧

(١٠٥) مجمع البيان ١٥١/٢٩/١٠

(١٠٦) المحرر الوجيز ٣٨٢/٥

(١٠٧) ينظر: التبيان للطوسي ١٢٦/١٠ ومجمع البيان ١٥١/٢٩/١٠

(١٠٨) ينظر: التحرير والتنوير٣٦٥/١٥-٣٦٦

(١٠٩) ينظر: الفخر الرازي ١٤٤/٣١/١١ وتفسير الخازن ١٧١/٦ وتفسير القرآن العظيم ١٤٨/٥ وإرشاد العقل السليم ٢٣٨/٨

(١١٠) الفخر الرازي ١٤٤/٣١/١١ وينظر: اللباب في علوم الكتاب ٤٢٧/١٩-٤٢٩

(١١١) التحرير والتنوير ٣٦٥/١٥-٣٦٦

(١١٢) ينظر: تفسير فرات الكوفي ٥٠٩ وتفسير القمي ٣٨٩/٢ وتفسير نور الثقلين ٤٣٨/٥.

(١١٣) ينظر: أصول الكافي ١٥٩ رقم ٨٧

(١١٤) مجمع البيان ١٥١/٢٩/١٠ وينظر: نور الثقلين ٤٣٨/٥

(١١٥) الميزان ٤٤/٢٠

(١١٦) ينظر: الكشاف ٦٣٠/٤

(١١٧) ينظر: الفخر الرازي ١٤٤/٣١/١١

(١١٨) الإتقان ٢٠٧ وينظر: البرهان ٧٥٣

(١١٩) المفردات ٤١٦

(١٢٠) من شواهد الإنصاف برقم ١٢١ من دون عزو

(١٢١) ينظر:البيان لابن الأنباري ٤٦٦/٢ والجامع لأحكام القرآن ١٣/١٩ والبحر المحيط ٢٩٩/١٠-٣٠٠ واللباب في علوم الكتاب ٤٢٧/١٩-٤٢٩

(١٢٢) ينظر: إرشاد العقل السليم ٢٣٨/٨ وروح المعاني ١٤٢/٢٩

(١٢٣) ينظر: التحرير والتنوير ٣٦٥/١٥-٣٦٦.

المصادر والمراجع

- إرشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم: ابو السعود محمد بن محمد العمادي (ت ٩٨٢ هـ)، ط٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
- أصول الكافي: محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ)، دار المرتضى، بيروت،١٤٢٦ هـ.
- الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ط٣، ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م.

- الأفعال: أبو عثمان سعيد بن محمد المغافري السرقسطي، اعداد الدكتور حسين محمد محمد شرف، مراجعة الدكتور محمد مهدي علام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، عناية: الشيخ زهير جعيد، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٥ هـ، ٢٠٠٥ م.
- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد المهدي بن عجيبة الحسني ت ١٢٢٤هـ تحقيق عمر أحمد الراوي دار الكتب العليمة بيروت ٢٠١٠م.
- البرهان في علوم القرآن: للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تحـ: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط١، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.
- التبيان في إعراب القرآن: ابو البقاء العكبري (ت٦١٦هـ) تحـ: علي محمد البجاوي –دار احياء الكتب العربية – (د.ت)
- التبيان في تفسير القرآن: ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ) تحـ: احمد حبيب قصير العاملي ط١، بيروت ٢٠١٠.
- التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، ط١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ٢٠٠٠م.
- التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزى الكلبي ت ٧٤١ هـ، تحقيق محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧.
- التفسير البسيط، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت٤٦٨هـ)، تحقيق مجموعة من الأساتذة، دار العماد، دمشق، ٢٠١٣م.
- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ)، خرج أحاديثه محمد بن عيادي بن عبد الحليم، مكتبة الصفا، الدار البيضاء ٢٠٠٥م.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، تحقيق أحمد محمد الخراط، دار القلم.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تقديم عبد الرزاق المصري، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٩م.
- الصحاح، معجم الصحاح قاموس عربي عربي مرتب ترتيبا ألفبائيا وفق أوائل الحروف: إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٨هـ)، اعتنى به خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٨ م.
- العين / ترتيب كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ): تحـ: د. مهدي المخزومي، ود. ابراهيم السامرائي، طهران، ١٤٢٥هـ.
- القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي (ت٨١٧هـ)، إعداد وتقديم محمد عبد الحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٣م.
- الكتاب: ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (سيبويه) (ت١٨٠هـ) – تحـ: عبد السلام هارون – الطبعة الثالثة – الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، ط١، دار الفكر، ١٩٧٧م

- الكشف والبيان في تفسير القرآن المعروف بتفسير الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي ت ٤٢٧هـ، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٤.
- الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية): ابو البقاء الحسين الكفوي (ت١٠٩٤هـ) – اعداد: د.عدنان درويش ومحمد المصري، ط ٤، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٨م.
- اللباب في علوم الكتاب، الإمام أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي (٨٨٠هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و الشيخ علي محمد معوض، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١١.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق ابن عطية ت٥٤١هـ تحقيق احمد صادق الملاح، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية القاهرة ١٩٧٤ م.
- المخصص: ابو الحسن علي بن اسماعيل (ابن سيده)، دار الفكر.
- المعجم المفهرس لأبنية القرآن الكريم، أشواق النجار
- المفردات في غريب القرآن: لابي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني (ت٥٠٢هـ)، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت (د.ت).
- الموسوعة القرآنية، خصائص السور،جعفر شرف الدين،المحقق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي،دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٠ هـ
- النكت والعيون: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري (ت٤٥٠هـ)، تحقيق : السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: القاضي ناصر الدين ابو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي (ت٧٩١هـ)، تح: عبد القادر عرفات العشا حسونة، دار الفكر، بيروت ١٩٩٦م.
- تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة، شرح ونشر: السيد احمد صقر، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠١هـ –١٩٨١م.
- تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ابو السعود محمد بن محمد العمادي (ت ٩٨٢ هـ)، تحقيق خالد عبد الغني محفوظ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠١٠.
- تفسير البغوي المسمى معالم التنـــزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٦هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٥هـ ـــ ٢٠٠٤م.
- تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ت ٦٨٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٤، ٢٠٠٨.
- تفسير الخازن (تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل)، عبد الله بن محمد الخازن ت٧٤١ هـ، القاهرة ١٩٥٩م.
- تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، الإمام محمد الرازي فخر الدين المشتهر بخطيب الري ت ٦٠٤ هـ، دار الفكر، بيروت، ط١، ٢٠٠٥ م.
- تفسير القرآن العظيم، الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت٧٧٤هـ)، إشراف محمود عبد القادر الأرناؤوط، ط٥، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٩.
- تفسير القمي، أبو الحسن علي بن ابراهيم (ق٣ه)، دار الحجة، إيران، ١٤٢٦هـ.

- تفسير الميزان: السيد محمد حسين الطباطبائي ت ١٤٠٢ هـ، قم، جامعة المدرسين.
- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.
- تفسير فرات الكوفي.
- تفسير نور الثقلين، الحويزي، طبعة طهران.
- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب،دار إحياء التراث العربي – بيروت،الطبعة: الأولى،٢٠٠١م
- جامع البيان عن تأويل آ القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، طبعة مقابلة على الأجزاء المطبوعة بتحقيق الأستاذ محمود شاكر، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ٢٠٠٢.
- جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م
- دراسات لأسلوب القران الكريم: محمد عبد الخالق عضيمة،ط١، دار الحديث، ٢٠٠٤ م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت،الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ
- شرح الرضي على الكافية، رضي الدين الاستربادي، القاهرة، ١٣٠٥ هـ.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني،دار الفكر – بيروت
- لسان العرب، الإمام العلامة ابن منظور (ت٧١١هـ)، اعتنى بتصحيحها أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، ط٣، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، د ت.
- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي (٢١٠ هـ)، علق عليه د. محمد فؤاد سزكين مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، دت.
- مجمع البيان في تفسير القرآن: ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ) – الطبعة الثانية – دار الكتاب، ودار الفكر – بيروت ١٣٧٧هـ، ١٩٥٧م.
- مجمل اللغة: احمد بن فارس – تحـ: زهير عبد المحسن سلطان – الطبعة الاولى – مؤسسة الرسالة – ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤ م.
- مع نهج البلاغة دراسة ومعجم: د. ابراهيم السامرائي (ت ٢٠٠٤م)،عمان ١٩٨٧م.
- معاني الابنية في العربية: د. فاضل السامرائي، الطبعة الاولى، جامعة الكويت،١٩٨١م
- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفرّاء (٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، دار السرور، ١٩٥٥م.
- معاني القرآن، الأخفش الأوسط أبو الحسن سعيد بن مسعدة البصري (٢١٥هـ)، تحقيق: د. فائز فارس، ط٣،دار البشير، دار الأمل،١٤٠١هـ ١٩٨١م.

- معاني القرآن وإعرابه: أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (ت٣١١هـ) – شرح وتحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٥.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.
- نهج البلاغة: تحقيق صبحي الصالح، ١٤٢٩هـ، مطبعة وفا، أيران، قم.